الإنجيل والقرآن

في

كفتي الميزان

بقلم

محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي

بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

« ألم • الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم ، نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » (آل عمران : ١) • « ألر • كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير ، أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير » (هود : ١ ــ ٢) • « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون » (يوسف : ١١١) •

وبعد فقد وقفت على كتاب : الإنجيل في القرآن (تأليف الأستاذ الحداد) الذي أهداه الى ذوي الضمائر الحية المفتشة عن دين الله ، وقد زار المجمع العلمي العربي بدمشق ، وأهداه الأجزاء الثلاثة ، الجزء الأول وعنوانه (الإنجيل في القرآن) والثاني والثالث وعنوانهما (الكتاب في القرآن) ، والمراد بالكتاب : التوراة • واتفق أني كنت في المجمع العلمي فاجتمعت بالأستاذ المؤلف ، ودار بيننا حديث قصير حول الإنجيل والقرآن ، ثم بدا لي أن أكتب في موضوعه وهو وحدة الأديان، وأخوّة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام فأقول :

إن دين الأنبياء والمرسلين دين واحد ، وإنهم صلوات الله عليهم وسلامه مهما تباعدت أزمانهم وتعددت لغاتهم فدعوتهم واحدة ، وهي التوحيد الخالص والعمل الصالح والإيمان باليوم الآخر ، وقد قال سبحانه : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصّينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب » (الشورى : ١٣) • وفي الحديث المتفق على صحته ــ حديث أبي هريرة عن النبي (ص) ــ « إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » •

نفي التعارض

ألا وإن التعارض بين الإنجيل والقرآن لا يمكن أن يوجد ، لأن مصدر هذين الكتابين واحد وهو الله تعالى ، وإن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يختلفون لأن دعوتهم واحدة ، وهي الإيمان بوجود الله عزّ وجلّ ، والقيام بالعمل الصالح ، والاستعداد لليوم الآخر •

القرآن الكريم

ولقد فجّر علماء الإسلام من القرآن عيونا ، واستنبطوا من كنوز نصوصه علوما وفنونا ، واندفعوا ــ بما هداهم إليه ذلك الوحي السماويّ ــ كالسيل الأتي ، يقيمون معالم الحضارة والعمران ، ويترجمون العلوم والفنون العقلية والرياضية عن حكماء الهند والفرس والروم واليونان ، ولم ينقلوا هذه عن أصلها من غير إعمال فكر ولا رويّة ، بل أجالوا فيها نظر الناقد البصير ، فأوضحوا غامضها وأصلحوا خللها ، ووضعوا من الكتب في هذه العلوم أضعاف ما عرّبوا •

ومن عجيب صنع الله تعالى في هذه الأمة وبديع حكمته أن دينها ومدنيتها لا يفترقان ، وأن علماء الدين ورجال المدنية يستقون من عين واحدة ، فكلما زادوا في دينهم فهماً ورسوخا زادوا في المدنية الصحيحة تبسّطاً ونفوذا •

الأحـكام في الإسـلام

لقد وضعت الأحكام في الإسلام على شكل التكافؤ ، وأديـرت سياستها على قطب المساواة ، فلا فضل فيها لشريف على وضيع ، ولا امتياز لملك على سوقي ، والعقوبة الموضوعة على صعلوك الأمة هي المحمولة على سيدها بدون فارق ، ولو ادعى أمير المؤمنين على أدنى الناس مالاً أو حقاً لم يُقضَ له باستحقاقه إلا بشهادة عادلة • وهذا المعنى عام في جملة الشريعة وتفاصيلها •

هذا وقد كنت نشرت شذرات في وحدة الكتب الإلهية من حيث الأصول ، وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام ، قد بلّغوا ما أمروا بتبليغه على الوجه الصحيح ، فلا خلاف في وحدانية الله تعالى ، ولا في الإيمان باليوم الآخر ، ولا في الثواب والعقاب على الأعمال ، وهذا هو الذي يقتضيه عدل الله تعالى وحكمته ، ويحسن أن نورد ما أوردناه هنا لك ليكون الإيمان تاما عاماً بمشيئته تعالى وتوفيقه :

الإسلام واهل الاديان السماوية

قرر الإسلام في معاملة الأمم التي يضعها تحت رايته حقوقاً تضمن لهم الحرية في دياناتهم ، والفسحة في إجراء أحكامها بينهم ، وإقامة شعائرها بارادة مستقلة ، فلا سبيل لأولي الأمر إلى تعطيل شعيرة من

شعائرهم ، ولا يدخل فيفصل نوازلهم الخاصة ، إلا إن تراضوا بالتحاكم أمام محكمتنا ، فتحكم بينهم على قاعدة العدل والمساواة ، قال تعالى : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ، إن الله يحب المقسطين »(١) وإبقاء الرعية على شرائعهم وعوائدهم منظر من مناظر السياسة العالية ، وباب من أبواب العدالة السامية • والأصل في كل مملكة أن يكون حق الولاية الشرعية في يدها دون سواها ، بحيث تفصل المحاكم التابعة لها في جميع قضايا من تقلهم أرض الوطن ، سواء كان النزاع متعلقاً بالجرائم أو الأموال ، أو الأحوال الشخصية ، ولكن عملاً بحرية الأديان والمعتقدات قيدت هذه الولاية وانحصر سلطانها في الأمور الدنيوية ، وأصبح كل انسان حراً في أحواله الدينية وما يتبعها •

تنظر الى أبواب الشريعة فتبصر في جملتها أحكاماً كثيرة مبنية على التسامح مع غير المحاربين ، تطالع أبواب الهبة والوقف والوصية فتستفيد من أحكامها أن الإسلام لم يقتصر على إباحة معاملتهم بمعاوضة، بل أجاز للمسلم أن يهب جانباً من ماله أو يوقفه أو يوصي به لغير المسلم ، أمر الإسلام بالعدل والإحسان في معاملتهم ، والرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم ، وحرم الاعتداء عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم •

آيات التوحيد الخالص في الكتب السماوية

من تصفح كتب العهدين القديم والجديد ومزامير داود (التوراة والإنجيل والزبور) وجدها طافحة بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ، والوعيد الشديد على الشرك ، مملوءة بالبشارات بظهور رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة • فأما تنزيه الآله والرب

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٢ .

عن الوالد والولد ، وعن الند والضد ، فتراه في الفصول والأعداد ، (وهي كالسور والآيات) من أسفار التوراة ، كتثنية الاشتراع وسفر الخروج وأشعياء ، مثل قوله : (إن الرب هو الإله ، وليس آخر سواه) (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي) (لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأني أنا الرب إلهك إله غيور) (ولكي يعلموا من مشرق الأرض ومن مغربها أن ليس غيري ، أنا الرب وليس آخر) .

وفي إنجيل مرقس : فأجابه يسوع : (إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا اسرائيل : الرب إلهنا رب واحد) (الفصل ــ ١٢ عدد ٢٩) . وفي إنجيل يوحنا : (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) (الاصحاح ٣/١٧) .

ليس من قصدي استيفاء آيات التوحيد الخالص من الكتب المقدسة فهي كثيرة ، ولا نقل البشائر التي لا تنطبق إلا على النبي العربي محمد خاتم النبيين فقد نقل منها المحقق الكبير الشيخ رحمة الله الهندي الشهير في كتابه (إظهار الحق) عن الكتب المعتبرة عند علماء البروتستانت ثماني عشرة بشارة ، وسبقه الى مثل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عقدنا هذا الفصل للكلام على كتابه : (الجواب الصحيح) ومثله كتاب الإمام ابن قيِّم الجوزيــة : (إرشاد الحيارى) . وحسبي الآن أن أنقل شاهداً واحداً من التوراة ، وآخر من الإنجيل ، وكلمات قليلة من الزبور أو المزامير ، تأييداً لما جاء في القرآن من بشائر الوحدة والسلام ، والهتاف ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، لكيلا يكون على المؤمنين بالكتب المقدسة حرج إذا هم صدقوا برسالة النبي العربي الذي آمن بكتب إخوانه المرسلين وصدقهم ، ولتقوم الوطنية على أساس المساواة التامة بين أبناء الوطن الواحد ، وهذا موضوع جليل ، ومطلب خطير ، يهم أهل الملل السماوية ، وعلماء الاجتماع الإنساني ، لأنه يدعو إلى الوحدة الصحيحة ، بلسان الكتب الإلهية ، والعاملين بها ، ومن واجب

العلماء بيان هذه الوحدة الدينية من الكتب المنزلة ، لنؤيد بها وحدتنا القومية .

بشارة موسى بمحمد (ص)

جاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح (أو الفصل كما في الطبعة اليسوعية من سفر التثنية[1] من التوراة) : (ويقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي ، له تسمعون) فهذه البشارة صريحة في محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، لأنه لم يقم نبي مثل موسى من وسط اليهود ، ومن إخوتهم بني إسماعيل غير النبي العربي محمد (ص) وأبناء العم يسمَّون إخوة ، ومن ذلك تسمية أبناء عمهم (عيسو) إخوة لهم كما في (٢ : ٤ و ٨) من التثنية ، ولو كان المراد من هذه البشارة المسيح عليه الصلاة والسلام لقال : أقيمه منكم أو من نسلكم ، لا من إخوتكم ، لأن يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم كما في متّى (١١ : ١ ـــ ١٦) فهو من نسل إسحاق لا من نسل إسماعيل عليهم السلام .

بشارة الإنجيل بالنبي العربي

جاء في إنجيل يوحنا (١٦ : ١٢ و ١٣) : « إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوها الآن ، وأما متى جاء روح الحق ، فهو يرشدكم إلى الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » ، فمحمد هو الذي يتكلم بما يسمع من وحي الله اليه قال تعالى : سورة النجم : ٣ و ٤ : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ، ومملكة محمد هي مملكة الله في الأرض المسماة في العهد الجديد بملكوت الله ، وبملكوت السموات ، وكان المسيح وتلاميذه يبشرون الناس بمجيئها ، وأمر عليه السلام أن

(١) التثنية : اسم السفر الخامس من أسفار العهد القديم ، وقد أطلق عليه التثنية ، لأنه ذكرت فيه الشريعة الموسوية مرة ثانية .

يطلبوا إتيانها من الله في صلواتهم، انظر متىّ : (٣:٢ و٤:١٧، ٢٣ و١٠:٦ و١٣ : ٣١ ، ٣٢ و٢٠: ١-١٦ و٢١: ٣٣-٤٤ ولوقا : ١٠:٩،١١) وهذه المملكة هي التي بدأت صغيرة ثم نمت وكبرت حتى ملأت العالم ولذلك شبهها عليه السلام بالزرع الجيد وبالخمرة وبحبة الخردل التي تصير أكبر البقول ، حتى ان طيور السماء تأتي وتتأوى في أحضانها ؛ (وفي طبعة الجزويت : تستظل في أغصانها ، متّى ١٣ : ٢٤ — ٣٥) وهي منطبقة على ما في القرآن الكريم في محمد وأتباعه ، (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه) (سورة الفتح : الآية : ٤٨) شطأه : أي فراخه ، يقال : أشطأ الزرع ، اذا فرّخ، فآزره من المؤازرة ، وهي المعاونة ، أي فشد أزره وقواه ، فاستوى على سوقه ، فاستقام على قصبه ، جمع ساق ، وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الإسلام ، والنبي عليه السلام ، قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه ، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع بما يحتف به مما يتولد منها ، حتى يعجب الزراع .

بشارة حَبَقّوق وذكر بلاد العرب فيها

قال حَبَقّوق [١] : (٣ : ٣ و ٤) (الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبال فاران ، ، سيلاه[٢] جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت

---

(١) نبوءة حبقوق : هي السفر (٣٥) من أسفار العهد القديم حسب ترتيبها الأصلي ، وأما زمن كتابتها فقبل المسيح بنحو ستمائة سنة كما بين قاموس الكتاب المقدس .

(٢) قال بعض المحشين : (سيلاه) : اختلفوا في تفسيرها على أقوال ، أرجحها في رأينا — وهو ما ذهب اليه أكثر المتأخرين من علماء العبرانية — انها عبارة عن الأمر بالسكوت أو الوقف — إيعاز للمنشدين أن يقطعوا الغناء ، ويتخذوا فترة تنفرد فيها الآلات باللحن .

(ملحوظة) ضبطنا الألفاظ العبرية على أهلها ، ونقلنا بعض معانيها إلى العربية بالتعاون معهم .

من تسبيحه ، وكان لمعان النور ، له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته) .

فتيمان بلاد العرب ، ومعنى كلمة تيمان الصحراء الجنوبية ، لأنها جنوب بلاد الشام ، ولا يزال الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تيماء) ومعنى هذه الكلمة أيضاً الصحراء الجنوبية ، وتيماء أيضاً اسم قبيلة إسماعيلية تسلسلت من تيماء ، وكانت تقطن بلاد العرب ، (تك ٢٥ : ١٥ و ١١ ي ١/٣٠) كما في قاموس الكتاب المقدس العربي . أما جبل فاران فهو في البرية التي سكنها إسماعيل أبو العرب (تك ٢١/٢١) فكأن حبقوق أشار بعبارته هذه إلى مسكن رسول الله (ص) وهو بلاد العرب (أو التيمان) وإلى مسكن أصله ، أو جده إسماعيل وهو برية فاران .

التصريح ببكة وهي مكة

ومنه قول المزمور الرابع والثمانين (٥ و ٦) « طوبى لأناس عزهم بك ، طرق بيتك في قلوبهم ، عابرين في وادي البكا » ، والأصل العبراني : وادي (بكة) فأبدل لفظ بكا بلفظ (بكة) وهي (مكة) في نص القرآن .

التصريح باسم محمد (ص)

من ذلك ما جاء في الفصل الخامس من النشيد (١٦) « حلقه حلاوة ، وكله مشتهيات ، هذا حبيبي » (هذه ترجمة البروتستانت ، وترجمة اليسوعيين : « حلقه أعذب ما يكون بل هو بجملته ، هذا حبيبي » ولفظ مشتهيات في الأصل العبراني (محمديم) والقواميس العبرانية تقول : إن هذه اللفظة لا تفيد مشتهيات ، ولكن تفيد أنه محمود ، ونقول : إن هذه صريحة في نبينا عليه السلام ، وقوله قبلها

حلقه حلاوة : كناية عن فصاحة كلامه ، لم يأت نبيٌّ بكلام أحلى مما جاء به خاتم الأنبياء ، وقوله بعدها هذا حبيبي : نصٌّ في لقب النبي عليه الصلاة والسلام ، فإنه حبيب الله عز وجل ٠

ومنه ما جاء في الفصل الثاني من النشيد : (أسمعني صوتك ، لأن صوتك لطيف ، ووجهك جميل) ، وفي الأصل العبراني : (عرب) بدل (جميل) أي عربي ٠ ومنه ما في الفصل الثاني من نبوة حجّي أو حجاي أو حكاي ـ كما في الأصل العبري : ٧ « وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فاملأ هذا البيت مجداً ، قال رب الجنود » ٠ وكلمة مشتهى هذه ، أصلها العبراني (حمدات) ومعناه محمود ، وهي في الفعل العبراني (حمد) ٠

علمنا من هذه النصوص والبشائر الصريحة في الكتب المقدسة ، أنها بشرت بالنبي العربي ، وذكرته باسمه الكريم ، وصرحت باسم بلاده ، ومحل ميلاده وهو مكة ٠

أفرأيتم كيف ألفت هذه النصوص الصريحة بين الأديان الثلاثة ؟ وهذا هو الإخاء الصحيح ، بين محمد وموسى والمسيح ، عليهم الصلاة والسلام ٠ وهذا بعض نصوصه وبشائره ، وهي قليل من كثير مما عثرنا عليه ، ولو اقتصر رجال الكنيسة الأكارم على ما بين أيديهم من الكتب المقدسة ، دون عقائد وعوائد ليست في هذه الأناجيل التي هي أصل العقيدة ومستندها ـ لاجتمعت الكلمة ، وأحكمت عرى المودة القلبية بين المختلفين ٠

الجواب الصحيح : لمن بدل دين المسيح

يقع هذا الكتاب المطبوع بمصر (١٣٢٢ هـ = ١٩٠٥ م) في أربعة أجزاء وهي تبلغ أكثر من ألف وأربعمائة صفحة بالقطع المتوسط ،

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في طلائع كتابه أنه جعله جواباً لكتاب ورد من قبرص (فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم ، وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً ، من الحجج السمعية والعقلية ، فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب ، (ثم قال) وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها ـــ فصلا فصلا ، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعا وأصلا ، وعقداً وحلاً ... فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك ، ويتناقلها علماؤهم بينهم ، والنسخ بها موجودة قديمة ، وهي مضافة الى بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي كتبها إلى بعض أصدقائه ، وله مصنفات) وقد اشتمل رد شيخ الإسلام على ستة فصول :

(١) دعواهم أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يبعث إلا إلى أهل الجاهلية من العرب .

(٢) دعواهم أن القرآن أثنى على دينهم الذي هم عليه .

(٣) دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك .

(٤) فيه تقرير ذلك بالمعقول .

(٥) دعوى أنهم موحدون والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيم الخ .

(٦) أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال ، فلا حاجة بعد النهاية الى شرع مزيد على الغاية[١] .

والغرض الأول من تأليف (الجواب الصحيح) على ما يظهر ، هو بيان أصول الشرائع السماوية والكتب المنزلة وأنها واحدة (قال) : وهذا أصل دين المسلمين ، فمن كفر بنبي واحد ، أو كتاب واحد فهو عندهم كافر ، (.. كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق

(١) ص ١٩ و ٢٠ .

بين أحد من رسله) [1] والمنسوخ الذي تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل ، فان الذي اتفق عليه هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان ، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، كما قال تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[2] وعامة السور المكية كالأنعام والأعراف وآل حم وآل طس وآل الر — هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين ، كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والصدق والعدل والإخلاص ، وتحريم الظلم والفواحش والشرك ، والقول على الله بلا علم .

وعامة ما عندهم من النقول الصحيحة عن الأنبياء من التــوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء ، توافق المنقول عن محمد (صلى الله عليه وسلم) يشهد هذا لهذا وهذا لهذا ، وذلك من دلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن دلائل نبوة أولئك الأنبياء [3] .

الابن وروح القدس لا اختصاص لهما بالمسيح عليه السلام

وقد أوضح أن الابن ليس كلمة ولا صفة ، ولا هو خاص بالمسيح ، وإنما يراد به المصطفى المكرم ، (قال) [4] : المراد بالابن ناسوت المسيح ، وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي ، والملك الذي نزل به ، فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله وبرسوله ، وبما أنزله على رسوله ، والملك الذي نزل به ، وبهذا أمرت الأنبياء كلهم (قال) [5] : وليس في كلام

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨ (٢) سورة البقرة ، الآية : ٦٢
(٣) ج ، ٣ ، ص : ٢٤٥ (٤)ج ، ١ ، ص : ٢٥٠ — (٥) ج:٢ ، ص:٦٥

المسيح ولا في كلام سائر الأنبياء ولا كلام غيرهم أن كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً ولا روح قدس ، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعاً إلا على مخلوق ، والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى محبوب الله ، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل : انه ابنه بكره ، ولداود أنت ابني وحبيبي ، وأن المسيح قال للحواريين أبي وأبيكم ، فجعله أباً للجميع ، وهم كلهم مخلوقون ، فيكون اسم الابن واقعاً على المسيح الذي هو ناسوت مخلوق ، قال[1] : وفي الإنجيل في غير موضع يقول المسيح : أبي وأبيكم كقوله : (إني ذاهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم) فيسميه أبا كما يسميهم ابناً له ، فان كان هذا صحيحاً فالمراد بذلك أنه الرب المربي الرحيم، فان الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها.. فيكون المراد بالأب الرب ، والمراد بالابن عبده المسيح الذي رباه ، وأما روح القدس فهي لفظة موجودة في غير موضع من الكتب التي عندهم ، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم ، بل روح القــدس عندهم تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين ، وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس ، ويراد بها الوحي والهدى والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة .

(وفي ص ٩٦) فالذي فسر (بعض) النصارى به ظاهر كلام المسيح، هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح ، وعادته في كلامه ، ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم ، بل المعروف في لغته وكلامه ، وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه ، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى .

(وفي ص ٣٣٢ من ج ٢) : بل أفصح في كل الإنجيل من كلامه ومخاطباته ووصاياه بما لا يحصى كثرة بأنه عبد مثلكم ومربوب معكم ،

---

(١) ج ٢ ص ٩٤ و ٩٥ .

ومرسل من عند ربه وربكم ، ومبدي ما أمر به فيكم ، وحكى مثل ذلك من أمره حواريوه وتلامذته ، ووصفوه لمن سأل عنه ، ومن كلامهم بأنه رجل جاء من عند الله عز وجل ونبي له قوة وفضل[1] .

(وفي ص ٢٤٤) : ولفظ الابن عندهم في كتبهم يراد به من رباه الله تبارك وتعالى فلا يطلق عندهم في كلام الأنبياء لفظ (الابن) قط إلا على مخلوق محدث ولا تطلق إلا على الناسوت دون اللاهوت ، فلا يسمى عندهم إسرائيل ابناً ولا داود ابناً لله والحواريون كذلك . فتبين أن العارف كلما تدبر ما قالته الأنبياء وما قاله أهل البدع من ... وغيرهم لم يجد لهم في كلام الأنبياء إلا ما يدل على نقيض ضلالهم .

وقد بيّن في (ص ٣٠٦ ج ٢) : فلسفتهم في الأقانيم الثلاثة (الأب والابن وروح القدس) وأعظم فرقهم في ذلك العهد اليعقوبية والملكانية والنسطورية ، وقد اختلفت وجهات نظرهم واستغرقت صفحات كثيرة . وذكر القائلين منهم ، بالأمانة ، واختلافهم في تفسيرها وامتناع تصورها على الوجه الصحيح ، وهنا تظهر سعة علم شيخ الإسلام بالفِرَق ، واطلاعه على مقالاتها وإحاطته بفلسفتها ، وقوة عقله في إظهار تعارضها وفي ردها كلها بالمنقول والمعقول .

التوحيد الصحيح في كلامهم

ثم خلص إلى إفراد الله تعالى بالوحدانية والعبادة على ألسنة طوائف منهم ، (وقال ص ٣٠٩) : وقال الأريوسية : إن الله ليس بجسم ولا أقانيم له ، وإن المسيح لم يصلب ولم يقتل ، وانه نبي ، وحكى عن بعضهم أنه قال : المسيح ليس بابن الله (أي بنوة لاهوت) ، وحكى عن

(١) ج ٢ ص ٣٣٢ .

بعضهم أنه ابن الله على التسمية والتقريب (إلى أن قال) : وهذا الذي نقله عنهم أبو الحسن الزاغوني ، وهو نحو ما نقله عنهم القاضي أبو بكر بن الطيب والقاضي أبو يعلى وغيرهما ، ، (قال) : وقال أبو محمد ابن حزم : النصارى فرق ، منهم أصحاب أريوس ، وكان قسيساً بالاسكندرية ، ومن قوله : التوحيد المجرد ، وأن عيسى عبد مخلوق ، وأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض (أي وهي كلمة «كن») وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية ، وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب أريوس هذا . (قال ابن حزم) : ومنهم أصحاب بولس الشمشاطي ، وكان بطرياركا بانطاكية قبل ظهور النصرانية ، وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية فيه البتة .

وكان يقول : لا أدري ما الكلمة ولا الروح القدس ، (قال) : وكان منهم أصحاب مقدينوس وكان بطرياركا بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بانيها — وكان هذا الملك أريوسيا كأبيه ، وكان من قول مقدينوس هذا التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء عليهم السلام ، وأن عيسى هو روح القدس وكلمة الله ، وأن روح القدس والكلمة مخلوقان ، خلق الله كل ذلك .

رسالة الحسن بن ايوب الى اخيه

وهذه الرسالة من أخ دان بالتوحيد الخالص ، وكتبها إلى أخيه ، وذكر له فيها سبب إسلامه ، ثم ذكر فرق النصرانية الثلاث ، وناقشهم في مذاهبهم وقضاياها واحدة واحدة ، وهي من أمتع الرسائل وأبلغها ،

وفيها أدق المباحث وأهمها ، لم تترك شبهة إلا كشفتها ، ولا حجة إلا جلتها ، ومن قرأها بتدبر وإمعان علم ما علمناه منها ، فقد سبرت غور المسائل ، وقابلت بين الأشباه والنظائر ، وأتت بأحسن النتائج ، التي تسكن إليها النفس ويطمئن بها القلب ، ثم هي تزيل الفروق بين الأديان وتجعل أهلها عباداً للرحمن ، لا لبني الإنسان • وقد أوردها في (الجواب الصحيح) فبلغت ثلاثاً وخمسين صفحة (ج ٢/٣١٢ ــ ٣٦٣) وصفحتين من أول الثالث •

ذكر مؤلفها فيها أن مريم ولدت إنساناً (عليهما السلام) وأنه جرى عليه أحكام الآدميين من غذاء وتربية ، وصحة وسقم ، وخوف وأمن ، وتعلم وتعليم ، لا يتهيأ لكم أنه كان منه في تلك المدة من أسباب اللاهوتية شيء ولا له من أحوال الآدميين كلها ــ من حاجاتهم وضروراتهم ، وهمومهم ومحنهم وتصرفاتهم ــ مخرج •

ابن الله ومعناه

(قال) : وقد علمتم أن من يسمى بابن الله كثير لا يحصون ، فمن ذلك إقراركم أنكم جميعاً أبناء الله بالمحبة ، وقول المسيح أبي وأبوكم ، وإلهي وإلهكم في غير موضع من الإنجيل ، ثم تسمية (الله) يعقوب وغيره (بنيه) خصوصاً ، فالسبيل في المسيح إذا لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور ، أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة الذين اختصوا بها من الأنبياء والأبرار ، ونسبة الملك إياه إلى أبيه داود ، تحقق أن أباه داود ، وأن التسمية الأولى (أي ابن الله) على جهة الاصطفاء والمحبة ، وأن حلول الروح عليه على الجهة التي قالها متّى التلميذ للشعب عن المسيح في الإنجيل : لستم أنتم متكلمين ، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم • فأخبر أن الروح تحل في القوم أجمعين وتتكلم فيهم •

عشرون ألف آية تنطق بعبودية المسيح لله تعالى

ومن تمام كلام الحسن بن أيوب (٣٦١ من ج ٢) قوله : وإذا نظر في الإنجيل وكتب بولص وغيره ممن يحتج به النصارى ، وجد نحواً من عشرين ألف آية(١) مما فيه اسم المسيح ، وكلها تنطق بعبودية المسيح ، وأنه مبعوث مربوب ، وأن الله اختصه بالكرامات ، ما خلا آيات كثيرة مشكلات ، قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم ، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد ، وتركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته ، وقال في أواخر هذه الرسالة :

ومن أعجب العجب أن تكون أمة كتابها ودعوتها ومعبودها واحداً ، يتمسكون بأمر المسيح عليه السلام وتلامذته وإنجيله ، وسنتهوشرائعه ، وهم مع ذلك مختلفون فيه أشد الاختلاف ، فمنهم من يقول إنه عبد ومنهم من يقول إنه إله الخ .

وقد ختم شيخ الإسلام كلام هـذه الرسالة بقوله في أول الجزء الثالث من جوابه : هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب — وهو ممن كان من أجلاء علماء النصارى ، وأخبر الناس بأقوالهم ، فنقله لقولهم أصح من نقل غيره ، وقد ذكر في كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية ، وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية — ما يبين ذلك (قال) : ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم الخ . ثم وصف كتاب (نظم الجوهر) لابن البطريق بترك الإسكندرية وصفاً شاملاً لأخبارهم ومجامعهم واختلافهم ،وسبب إحداثهم ما أحدثوه مع انتصار ابن البطريق لقول الملكية ، والرد على من خالفهم (وفي ص ١٦٩ ج ٣) : ومن أجل من جمع أخبارهم عندهم (أي الطوائف المختلفين في التثليث والاتحاد ، وان كل صنف يحكي

(١) أي أمارة أو علامة .

أقوالا غير الأقوال التي حكاها الآخرون) سعيد بن البطريق بترك الاسكندرية في أثناء المائة الرابعة من دولة الإسلام ، وقد فند هذا البترك أقوال النسطورية والملكانية ، وفند شيخ الإسلام أقوال الطوائف كلها بالعقل والنقل ولم يبق زيادة لمستزيد •

(وفي ص ٢٢٢ ج ٣) : ذكر ما امتاز به القرآن على التوراة ، (وفي ص ٢٤٤) : أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا بإخبار محمد (صلى الله عليه وسلم) بنبوتهم ، فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلاء إلا بعد التصديق بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) •

ما اتفقت عليه الكتب والرسل

ثم انتقل في الجواب الصحيح الى ذكر ما اتفقت عليه الكتب والرسل، من الأصول الكلية العامة ، والى ما جاء في التوراة من الجمع بين التوراة والإنجيل والقرآن ، والرسل الثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام : (تجلى الله من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلى من جبال فاران) ، والى بشارة السفر الأول من التوراة بمحمد (ص) • وبشائر الزبور به وهو مزامير داود ، وقد ذكرنا قبل هذا شواهد من هذه الكتب الثلاثة المقدسة •

وفي الجواب الصحيح (٣/٢٨٢) قال كثير من العلماء واللفظ لمحمد ابن قتيبة : ليس بهذا خفاء على من تدبر ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سينا : إنزاله التوراة على موسى من طور سينا كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير : إنزاله الإنجيل على المسيح ، وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها سمي من اتبعه من نصارى ، وكما وجب أن يكون

إشراقه من ساعير : المسيح، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على (محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم) ، وجبال فاران هي جبال مكة ، (قال) : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فان ادعوا أنها غير مكة ... قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل (فاران) وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه كتاب بعد المسيح؟

(ثم قال) : ولا يمكن أحداً أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي ، فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو سبحانه ذكر هذا بالتوراة على الترتيب الزماني ، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه .

والى أماكن هذه الكتب الثلاثة أشار القرآن الكريم ، قال في الجواب الصحيح (ص ٣٨٦) فقوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين)[١] إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه ، وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن ، كما ذكر الثلاثة في التوراة .

بشائر النبوات بالنبي العربي ، والتصريح باسمه

ثم ذكر في (الجواب الصحيح) بشائر النبوات بالنبي العربي ، وفي أشعياء : « يا محمد يا قدوس الرب ، اسمك موجود من الأبد » قالوا فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال ، أو لطاعن مجال ؟ (ص ٣٠٧) ، وفيه أيضاً التصريح باسمه (أحمد) و (محمد) .

وقال أشعياء : « إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت (محمد ص) »

---

(١) ١/٩٥

وهذا إفصاح مـن أشعياء باسم رسـول الله صلى الله عليه وسـلم (٣/٣١٠) •

وفي حبقّوق التصريح باسم محمد مرتين : (إن الله جاء من التيمن ، والقدوس من جبال فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد (صلى الله عليه وسلم) وامتلأت الأرض من حمده ، شعاع منظره باسم النور ، يحوط بلاده بعزه (الى أن قال) وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء) (ثم قال) : وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ، و لاتصلح إلا له ، ولا تدل إلا عليه ، فمن حاول صرفها عنه فقد حاول ممتنعاً •

وفي (ج ٤ ص ٥) في كلمة الإنجيل وتفسيرها ، قالوا : وقال يوحنا الإنجيلي ، قال يسوع المسيح : في الفصل الخامس عشر من إنجيله : إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء • وقال يوحنا التلميذ أيضاً عن المسيح أنه قال لتلاميذه : إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم إلى الأبد روح الحق الخ •

وذكر بشارات أخرى من هذه الأناجيل ، وتوسع في شرح هـذه البشائر واحدة واحدة ، وجملة جملة ، وبين وجه دلالتها على النبي (صلى الله عليه وسلم) وانطباقها عليه دون غـيره ، (الى أن قـال ص ٤/١٤) : وأيضاً فان معنى الفـارقليط إن كان هو الحامـد أو الحمّاد أو الحمد أو المعز ، فهذا الوصف ظاهر في محمد (صلى الله عليه وسلم) فانه وأمته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل حـال وهو صاحب لواء الحمد •

ثم عقد فصولا في إعجاز القرآن من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، والنظم والبلاغة ، ومعانيه التي أمر بها ، والمغيبات التي أخبر عنها ، وما وصف به المعاد وما أقامه من الدلائل اليقينية ، والأقيسة العقلية

التي هي الأمثال المضروبة، قال : وكل ماذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن فهو حجة على إعجازه ، وكل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .

وعقد فصولا أخرى في سيرة النبي (ص) ، وفي هديه وأوصافه وأخلاقه . وذكر معجزاته في نفسه وفي خلفائــه (الى ص ١٢٠) . ثم قال بعد سرد إخباره (صلى الله عليه وسلم) بالمغيَّبات (ص ١٤٨) : وهذا وأمثاله مما أخبر به من المستقبلات ، فوقع بعــده كما أخبر ، ورأى الناس ذلك ، وأما ما أخبر به مما لم يقع الى الآن فكثير .

ثم ذكر شواهد مما تواتر عند علماء التاريخ أو السير ، أو النحو ، أو اللغة ، أو الحديث ، دون غيرهم ، وبيان أن المحدّثين أوثق وأضبط من جميع هؤلاء ، وقال (ص ٢٣٥) : وعامة ما ذكرناه من آيــات النبي (صلى الله عليه وسلم) هي من موارد إجماعهم ، لا من موارد نزاعهم .

وفي (ص ٣٠٦) : والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه ، وبهجة وجهه سيما يعرف بها . ونقل عن القاضي عياض ــ في صدق نبوة النبي ــ قوله : إذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره ، وحميد سيره ، وبراعة علمه ، ورجاحة عقله وحلمه ، وجملة كماله، وجميع خصاله ، وشاهد حاله وصواب مقاله ، لم يمتر في صحة نبوته ، وصدق دعوته .

(قال) : وكفى هذا غيرَ واحد في إسلامه والإيمان به .

في أواخر الفصل الذي ختم به شيخ الإسلام (الجواب الصحيح) ما نصه : وفي خبر الجلندي ملك غسان لما بلغه أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يدعوه الى الإسلام فقال الجلندي : والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن

شر إلا كان أول تارك له ، وأنه يَغلِب فلا يبطر ، ويُغلَب فلا يضجر ، ويفي بالعهد ، وينجز بالموعود ، وأشهد أنه نبي .

وقال نفطويه في قوله تعالى : (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)[1] هو مثل ضربه الله لنبيه (ص) يقول : يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا ، كما قال ابن رواحة :

لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

التعـاون الإسلامي المسيحي

لما زرت الولايات المتحدة الأمريكية (١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٦ م) بدعوة من جمعية التعاون الإسلامي المسيحي ، كنت أدعو الى هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين ، وكذا في اجتماعنا في لبنان من قبل ، وفي مدينة الاسكندرية من بعد ، وكنا ــ ولا نزال ــ نرجو أن يكون الاتحاد أساساً راسخاً ، لأننا ننشد من ورائه الخير العميم لهذه البشرية المهددة بالفناء ، بما أحدثت المدنية المادية في الشرق والغرب من القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرهما . وان الحرب اذا وقعت لا قدّر الله يكون وقودها هذا العالم المعذب ، ويكون من ورائها النهاية الأخيرة لعالمنا هذا .

إن أول عمل يدعونا اليه الواجب الإنساني الخالص ، هو نصرة الضعفاء والمظلومين في الأرض ، وهذا لا يتم إلا بالتضامن والتعاون بين أهل الملل السماويّة .

في روسيـا

ولقد كان لحركة هذا التعاون صدى استحسان في كل مكان ، وقد

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥ .

اهتمّ النصارى الروس بها كل الاهتمام ، ولما دعا المجمع العلمي الروسي أربعة من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لزيارة بلادهم ومجمعهم العلمي في موسكو (١٩٥٤) ، اختار مجمعنا أربعة من أعضائه وهم : الأمير جعفر الحسني ، والدكتور حسني سبح ، والدكتور سامي الدهان ، وكاتب هذه السطور (محمد بهجة البيطار) ، وعرفوا أني عضو عامل في هذا العمل العظيم ، وأننا نسعى لنكون يداً واحدة في سبيل الإنسانية ، فسرّوا سروراً عظيماً ، ودعوا لنا بالتوفيق والنجاح . ورأيت هنالك الشعب باقياً على دينه ، وقد سألت بعض المستشرقين في لينينغراد عن عدد سكان تلك المدينة ، فقال لي : نحو أربعة ملايين . قلت : وكم يبلغ عدد النصارى فيها ، فأجاب : أكثر من ثلاثة ملايين نسمة . وقد صلينا مع اخواننا المسلمين في جوامع موسكو وطشقند وسمرقند ، وسمعت الأذان وخطب الجمعة ، وقراءة القرآن في الصلاة وغيرها ، كل ذلك باللغة العربية .

دعوى الدس في القرآن

من العجيب الغريب دعوى الأستاذ الحدّاد أن بعض الآيات في بعض السور مدسوسة ، أي مزيدة على القرآن ، وليست منه ، والمؤلف يعرف غيرة المسلم على دينه وكتابه ، فما كان له أن يقبل هذا من أحد ، فكيف اذا كان هذا من عنده ؟ (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ، إن كنتم مؤمنين) (النور — ١٨) .

وهذا مجمل معاني ما أورده الأستاذ المؤلف من الآيات الكريمة ، في وحدة الدين :

١ — بيان أصول دين الله تعالى المشتركة بين جميع أنبيائه المرسلين ،

من الإيمان بوجوده تعالى وتوحيده ، وعلمه وحكمته ، وعدله ورحمته ، وهذا هو القسم الأول منه •

وأما القسم الثاني : ففي السيدة مريم العذراء أم السيد المسيح عليهما السلام ، وما ورد في شأنها من النصوص القرآنية ، وتحليل النصوص •

والقسم الثالث : عنوانه (المسيح في القرآن) وإيراد النصوص الواردة فيه •

٢ ــ ثم تحليل تلك النصوص أيضاً •

ونبدأ الجواب بهذه الكلمة الواعظة لحكيم من حكماء الإسلام والقرآن قال : أيها المسلمون : إن الله تعالى أنزل عليكم كتابه ، هدى ونوراً ، ليعلمكم الكتاب والحكمة ، ويزكيكم ، ويعدكم لما يَعدُكم به ، من سعادة الدنيا والآخرة ، ولم ينزله قانوناً دنيوياً جافاً كقوانين الحكام ، ولا كتاباً طبياً لمداواة الأجسام ، ولا تاريخاً بشرياً لبيان الأحداث والوقائع ، ولا سفراً فنياً لوجوه الكسب والمنافع ، فان كل ذلك مما جعله تعالى باستطاعتكم ، لا يتوقف على وحي من ربكم •

إيراد الآيات الكريمة ومعناها

إيراد الآيات التي ادعى المؤلف انها مدسوسة ! ! وجوابنا عنها : ؟

١ ــ « سورة المؤمنون » : ونظن هنا أيضاً أن الآية (٥٤) مدسوسة لأنه لا جدال ولا وصف لجدال مع الكتابيين ، الذين فرقوا دينهم كتباً مختلفة • بل السورة كلها ذكر لقوم محمد ، (وهم عن ذكرهم معرضون ــ ٧١ ، المؤمنون) •

الجواب :

أليس من العجيب جعل هذه الآية (٥٤) « فَتَقَطَّعوا أمرهم بينهم زُبُرا ــ المؤمنون » غريبة عما قبلها وما بعدها ؟ ومعلوم أن سورتها (المؤمنون) مكية وقبلها سورة الحج ، فبعد أن ختمها تعالى بخطاب المؤمنين ، وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات ــ وفي ذلك تهيئة لهم وإعداد للفلاح ــ حقّق الفلاح في بدء هذه السورة ، لمن كان جامعاً لسبع خصال من الخير ، ثم بعد أن ذكر تكوين الإنسان الى أن يصير بشراً سوياً ، بيَّن أن مرجعه الى ربه لحسابه ، وثوابه أو عقابه ، بحسب إيمانه وعمله . وذكر سبحانه من دلائل قدرته خلق السموات والأرض ، وما بث فيهما من دابة ، ثم أوضح أن كثيراً من الأمم قد أهملوا التدبر والاعتبار ، فأصبحوا كأمس الدابر ، والمثل السائر ، ومنهم من عبدوا غيره تعالى ، أو عبدوه مع غيره من مخلوقاته ، ممن لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة و لانشوراً .

وهنا ذكر قصص الرسل مع أقوامهم الذين كذبوهم بغياً واستكباراً، منها قصة نوح وهود ، وصالح ولوط ، وشعيب ، وموسى وهارون ، وختمها بقَصَص عيسى عليهم الصلاة والسلام .

وهنا دعا الرسل جميعاً بقوله : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم ، وان هذه أمتكم أمةً واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ، فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُرا ، كل حزب بما لديهم فرحون » قال أحد أئمة التفسير : بعد أن قص سبحانه علينا قصص بعض الأنبياء السالفين (أي مع أقوامهم) عقب هذا ببيان أنه أوصاهم جميعاً بأن يأكلوا من الحلال ، ويعملوا صالح الأعمال ، كفاءَ ما أنعم به عليهم من النعمة العظيمة ، والمزايا الجليلة التي لا يقدر قدرها ، ثم

حذرهم وأنذرهم بأنه عليم بكل أعمالهم ، ظاهرها وباطنها ، لا تخفى عليه من أمورهم خافية •

ثم أرشدهم الى أن الدين الحق لا تعدد فيه ، ولكن الأمم قد فرقت دينها شيعاً ، وكل أمة فرحة مسرورة بما تدين به ، كما هي حال قريش أيضاً ، فقال : « وإن هذه أمتكم أمةً واحدةً » أي وإن دينكم معشر الأنبياء دين واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له ، واختلاف الشرائع والأحكام – على حسب اختلاف الأزمان والأحوال – لا يسمّى اختلافاً في الدين لأن الأصول واحدة •

« وأنا ربكم فاتقون » أي واني أنا ربكم لا شريك لي في الربوبية ، فاحذروا عقابي وخافوا عذابي •

« فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون» أي فتفرق أتباع الأنبياء فِرَقاً وجماعات ، وأصبح كل فريق مُعجَباً بنفسه ، فرحاً بما عنده ، معتقداً أنه الحق الذي لا معدل عنه •

فهل هذه السورة كلها – بعد هذا كله – ذكر لقوم محمد أم هي كسائر السور ذكر عام ، للشعوب والأقوام ، بأن يعودوا الى دين الله العام ، وهو الإسلام ، دين الواحد الأحد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ؟

الوحدة التامة بين رسل الله تعالى

٢ – جاء في سورة الأعراف من أدعية موسى عليه السلام :

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ، إنا هُدنا إليك ، قال عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) •

والحسنة في الدنيا هي العافية وسعة الرزق وعز الاستقلال عن فرعون وملئه ، وفي الآخرة : دخول الجنة ونيل الرضوان ، وهُدنا إليك : تبنا ورجعنا إليك مما فرط من سفهائنا من طلب الآلهة وعبادة العجل ، ومن تقصير عقلائنا في الإنكار عليهم ، مستغفرين مسترحمين .

فأجاب سبحانه بأن من سننه في هذ الكون العدل والفضل ، فأما العدل ، فعذابه الذي يصيب الكفار والعصاة ، وأما الفضل فرحمته التي وسعت كل شيء في العالمين ، ولولاها لهلك كل كافر وعاص جزاء كفره وفجوره ، « ولو يُؤاخِذُ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة » .

ثم إنه تعالى أثبت رحمته بمشيئته للذين يتقون الكفر والمعاصي ، ويؤتون الصدقة التي تتزكى بها أنفسهم ، وفي ذلك إيماء الى أن اليهود أشربوا في قلوبهم حبَّ المال ، وفتنوا بجمعه ، ومنع بذله في سبيل الله ، « والذين هم بآياتنا يؤمنون » كما أني سأكتبها للذين يصدقون بجميع آياتنا التي تدل على توحيدنا وصدق رسلنا تصديقَ إيقان مبني على العلم الصحيح ، ومن آيات اتصافهم بالصفات الثلاث وهي التقوى وإيتاء الزكاة والإيمان بآيات الله ، أن من أدرك منهم النبي الأمي الذي آمن بكتب الله ورسله جميعاً ، آمن بهذا الرسول واتبعه ، وسيعلم من كتابه القرآن أن دين الله واحد في كتبه وعلى ألسنة رسله ، وهو النبي الأمي ، فالأمية آية من آيات نبوته ، إذ قد جاء بأعلى العلوم النافعة التي بها يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم ، وآدابهم وأعمالهم ، فغيَّر نظم البشر في تلك الحقبة الطويلة ، وأثر في حياة الأمم التي حوله أكبر تأثير بما شهد له المنصفون ، في كل الأديان .

وقوله : « الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » أي يجد الذين يتبعونه من بني إسرائيل وصفه مكتوباً في التوراةوالإنجيل،

بحيث لا يشكّون انه هو ، فقد جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية (جاء الرب من سينا ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلى من جبال فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه قبس من نار) فمجيئه من سينا إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام ، وإشراقه من ساعير : إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام ، واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن ، لأن فاران جبال مكة •

وجاء في الباب (١٥) من إنجيل يوحنا (فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق ، الذي هو من الأب ينبثق ، فهو يشهد لي وأنتم تشهدون ، لأنكم معي من الابتداء) والفارقليط بالعبرية : معناه أحمد ــ كما قال تعالى ــ حكاية عن عيسى عليه السلام: «مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » وجاء في سفر التكوين : (فلا يزول القضيب من يهوذا ، والراسم من تحت أمره ، الى أن يجيء الذي هو له ، واليه تجتمع الشعوب) وفي هذا دلالة على مجيء محمد عليه السلام ، بعد تمام حكم موسى وعيسى، لأن المراد من الحكم موسى ، لأنه ما جاء بعد يعقوب صاحب شريعة إلا هو ، والمراد من الراسم عيسى ، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا محمد عليهم الصلاة والسلام • قال تعالى في سورة الأنعام ــ مما امتن به على إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

« ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبلُ ، ومن ذريته داود وسليمان ، وأيوب ويوسف » الآية ، وقد أشكل على بعض الفضلاء من غير المسلمين قوله تعالى في هذه الآية : « ونوحاً هدينا من قبل » إذ الكلام على ما وهب الله سبحانه لإبراهيم من أولاده وأحفاده ، فما معنى ذكر كبير أجداده ، وهو نوح عليه السلام ؟

والجواب عن قوله سبحانه : « ونوحاً هدينا من قبل » :

أي وهدينا جدّه نوحاً الى مثل ما هدينا له إبراهيم وذريته ، فآتيناه النبوة والحكمة ، وهداية الخلق الى طريق الرشاد • والمراد بذلك أن نسب إبراهيم من أشرف الأنساب ، إذ رزقه الله أولاداً مثل إسحق ويعقوب ، وجعل أنبياء بني إسرائيل من نسليهما ، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين ، كنوح وإدريس وشعيب ، فهو كريم الآباء شريف الأبناء •

« ومن ذريته داود وسليمان ، وأيوب ويوسف ، وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، كل من الصالحين ، وإسماعيل واليسع ، ويونس ولوطا ، وكلاً فَضَّلنا على العالمين » • الضمير في (ذريته) يعود الى إبراهيم لأن الكلام في شأنه ، بذكر ما أنعم الله عليه من فضل •

وإنما ذكر نوحاً لأنه جدّه فهو — كما قدمنا — يرشد الى فضل الله عليه ، في أصوله وفروعه ، ولأن الله جعل الكتاب والنبوة في نسلهما معاً ، كما جاء في سورة الحديد « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب » •

أي وهدينا من ذريته داود وسليمان ، الخ • وقد ذكر الله في هذه الآيات أربعة عشر نبياً ، لم يرتبهم على حسب أزمانهم ولا على حسب فضلهم ، لأن الكتاب قد أنزل ذكرى وموعظة للناس ، لا تاريخاً تفصل وقائعه مرتبة على حسب وجودها ، وقد التمس بعض العلماء حكمة لهذا الترتيب فقال : إن الله تعالى جعل الأنبياء ثلاثة أقسام ، يجمع بين كل قسم منها معنى مشترك :

داود وسليمان ، وأيوب ويوسف ، وموسى وهارون ، وأولئك قد آتاهم الله الملك والإمارة ، والحكم والسيادة مع النبوة والرسالة •

فداود وسليمان كانا ملكين غنيين ، وأيوب كان أميراً غنياً محسناً ، ويوسف كان وزيراً عظيماً وحاكماً متصرفاً ، ولكن هذين ابتليا بالضراء

فصبرا كما ابتليا بالسراء فشكرا ، وموسى وهارون كانا حاكمين ولم يكونا ملكين ، وقد ذكرهم القرآن على سبيل الترقي في هدي الدين •

فأفضلهم موسى وهارون ، ثم أيوب ويوسف ، ثم داود وسليمان ، وقوله : « وكذلك نجزي المحسنين » أي بالجمع بين نعم الدنياوالرياسة، وبين هداية الدين وارشاد الخلق •

فهذا من أسرار الجمع بين الآباء والأجداد ، والأبناء والأحفاد •

٣ ــ **سورة الشورى** (ص ٢١٥ من الإنجيل في القرآن الآية ١٣ــ١٦) :

« شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحا ــ والذي أوحينا إليك ــ وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب » •

آية ١٣ «والذي أوحينا إليك » اعتراضية ، وربما مزيدة • « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه » من التوحيد (البيضاوي) •

الجواب :

جاء في الآية العاشرة من هذه السورة (الشورى) قوله سبحانه : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله » أي وما اختلف فيه العباد من أمر الدين ، فحكمه ومرجعه الى الله ، يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ، ويفصل بين المختصمين ، ثم بيَّن تعالى أنه شرع لنا من الدين ما وصَّى به أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة ، وهم أولو العزم من الرسل، وتخصيص هؤلاء الأنبياء بالذكر لعلوّ شأنهم وعظيم شهرتهم ، ومنهم الرسول محمد (ص) فهو النبي الأمي العربي ، الذي أوحي اليه كما أوحي الى الرسل من قبله وهو خاتمهم ، وكل نبي مأمور بما أمروا

هم به من إقامة دين الإسلام وهو التوحيد ، وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار ، من أصول الشرائع والأحكام كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والكلم الطيب والعمل الصالح ومكارم الأخلاق والصفات . وان من خالف الحق من أتباع الرسل ما خالفوه إلا بعد إبلاغه إليهم ، وقيام الحجة عليهم ، وإنهم ما حملهم على ذلك إلا البغي والعدوان والحسد من عند أنفسهم . وان من اعتنقوا الأديان من بعد الأجيال الأولى ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم ، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان ، وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب ، وشقاق بعيد .

ثم أوصى الله تعالى نبيه بقوله : (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير) (١٥) الشورى .

بعد أن أمرهم فيما سلف بالوحدة في الدين وعدم التفرق فيه ، أمر رسوله بالدعوة ، إلى الاتفاق على الملة الحنيفية السمحة ، والثبات عليها ، والدعوة إليها ، وألا يتبع أهواءهم الباطلة ، ثم أمره بالإيمان بجميع الكتب السماوية ، وبالعدل بين الناس ، فيسوي بينهم وبين نفسه ، فلا يأمرهم بما لا يعلمه ، أو يخالفهم فيما نهاهم عنه ، ثم أردف ذلك ببيان أن إلههم جميعاً واحد ، وأن كل امرىء مسؤول عن عمله ، وأن الله يجمع الناس يوم القيامة ، ويجازيهم بأعمالهم .

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على عشرة أوامر ونواه ، كل منها مستقل بذاته ، ودال على حكم برأسه . فأين الدس في هذه الوصايا والتعاليم ، التي خوطب بها هذا النبي الكريم ، وهي دينه ودين من قبله من الأنبياء والمرسلين ، وقد أوحي إليه بمثل ما أوحي به إليهم ؟ سلام الله عليهم أجمعين .

٤ ـ **سورة البقرة** (ص ٢٢٢ ـ الآية ١٣٨) :

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟ ونحن له عابدون) •

ويظهر لي أن هذه الآية مزيدة هنا من وقت آخر ، لأن اقحامها فيه سبب تفكيك للنظم وسوء الترتيب ، وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه •

الجواب :

جاء في الآية (١٣٥) من هذه السورة ما نصه : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) (وقالوا) : الخطاب لأهل الكتاب ، و (أو) للتوزيع ، أو التنويع ، أي إن اليهود يدعون إلى اليهودية التي هم عليها ، والنصارى يدعون إلى النصرانية التي هم عليها ، (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين) ، أي بل نتبع أو اتبعوا ملة إبراهيم الذي لا نزاع في هداه ولا في هديه ، فهي الحنيفية القائمة على الجادة بلا انحراف ولا زيغ ، العريقة في التوحيد والإخلاص ، بلا وثنية ولا شرك •

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم) الآية ، أي لا تكن دعوتكم خاصة بكم، تفصل بينكم وبين سائر الملل السماوية ، بل انظروا الى جهة الجمع والاتفاق ، وادعوا إلى أصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين ، مع الإسلام لرب العالمين لا نعبد إلا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله • ثم قال : (صبغة الله) أي صبغنا بما ذكر من ملة إبراهيم ، صبغة الله وفطرته فطرنا عليها ، وهي ما صبغ الله به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده ، على سنة الفطرة ، فلا دخل فيه للتقاليد الموضعية ، ولا لآراء الرؤساء ، وأهواء الزعماء ، وإنما هو من الله تعالى بلا واسطة متوسط ، ولا صنع صانع ، (ومن أحسن من الله صبغة)

أي لا أحسن من صبغته فهي جماع الخير الذي يؤلف بين الشعوب والقبائل ، ويزكي النفوس ، ويطهر العقول والقلوب ، (ونحن له وحده (عابدون) فلا نتخذ أحبارنا وعلماءنا أربابا ، يزيدون في ديننا وينقصون ، ويحلون لنا بآرائهم ويحرمون ، ويمحون من نفوسنا صبغة الله الموجبة للتوحيد ، ويثبتون مكانها صبغة البشر ، القاضية بالشرك والتنديد .

أفليست صبغة هذه الآيات واحدة ، ووجهتها واحدة ، وهي الدعوة إلى دين إبراهيم ، والد الأنبياء والمرسلين ، ونبذ زيادات الرؤساء ، المملوءة بالشكوك والأهواء ؟ (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل) أي عن هدي كتبك وعن اتباع أنبيائك ورسلك .

وبعد أن أبان القرآن الكريم ، أن الملة الصحيحة هي ملة إبراهيم ، أبطل محاجة أهل الكتاب للمسلمين بدعوى اختصاصهم به تعالى ، وأنهم أبناؤه وأحباؤه ، مع أنه تعالى رب العالمين ، فنسبة الجميع إليه واحدة ، إذ هو الخالق والرب ، وهم المخلوقون والمربوبون ، وإنما يتفاضلون بالأعمال البدنية والنفسية (ونحن له مخلصون) فلا نتكل على الأنساب والأحساب ، ولا على الشفاعات التي تدعو إلى ترك العمل وإهمال الحقوق والواجبات .

أفليست هذه الآيات الكريمة منسجمة ومنتظمة في سلك واحد ؟ بلى ثم بلى .

٥ ــ **سورة الصف** (ص ٢٧٢ ــ الآية ٦ ــ ١٤) :

(وإذ قال عيسى بن مريم : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم ، مصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ــ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ــ فلما جاءهم بالبينات ، قالوا هذا سحر مبين) تلاحظ

أنه : وان كان أحمد ومحمد من أصل واحد ، فالصيغة ليست واحدة ، وليس الاسم واحداً ، وهذا النص هو الموضع الوحيد في القرآن ، الذي يرد فيه اسم النبي العربي بهذه الصيغة .

وتظهر الزيادة على الآية في هذا المقطع ، فلو حذفت لما اختل المبنى والمعنى ، ولانسجمت الآية أكثر فأكثر .

الجواب :

أحمد : اسم من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال حسّان :

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

(وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة) فالسيد المسيح يقول لقومه : يا قوم إني مرسل إليكم من الله ، وإني مصدق بالتوراة ، وبكتب الله وأنبيائه جميعاً من تقدم منهم ومن تأخر .

(ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي وداعياً إلى التصديق بهذا الرسول الكريم الذي جاءت البشارة به في التوراة ، فقد جاء في الفصل العشرين من السفر الخامس منها : (أقبل الله من سينا وتجلّى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، معه الربوات الأطهار عن يمينه . (سينا مهبط الوحي على موسى ، وساعير مهبط الوحي على عيسى ، وفاران جبال مكة مهبط الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم) .

وفيها في الفصل الحادي عشر من هذا السفر : يا موسى إني سأقيم لبني سرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامه في فيه ، ويقول لهم ما آمره به ، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي ، أنا أنتقم منه ومن سبطه .

وكذلك جاء في الإنجيل ما هو بشارة به ، ففي انجيل يوحنا في الفصل الخامس عشر ، قال يسوع المسيح : ان الفار قليط روح الحق الذي يرسله أبي ، يعلمكم كل شيء • وفيه أيضاً : قال المسيح من يحفظ كلمتي يحبني ، وأبي يحبه ، وعنده يتخذ المنزلة ، كلّمتكم بهذا لأني لست عندكم مقيماً ، والفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلت لكم ، استودعكم سلامي ، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع ، فإني منطلق وعائد إليكم ، لو كنتم تحبوني تفرحون بمضيي الى الأب •

وفيه أيضاً : ان خيراً لكم أن أنطلق لأبي ، لأني ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فاذا انطلقت أرسلته إليكم ، فاذا جاء فهو يوبخ العالم على خطيئته ، وإن لي كلاماً كثيراً أريدقوله ، ولكنكم لاتستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ، ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتي ، ويعرفكم جميع ما للأب •

(والفارقليط لفظ يؤذن بالحمد ، فسّره بعضهم بالحمّاد ، وبعضهم بالحامد ، ففي مدلوله إشارة إلى اسمه عليه السلام أحمد) كما لا يخفى على من كشف الله تعالى غشاوة التعصب عن عينيه •

(فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) أي حين جاءهم أحمد المبشر به بالأدلة الواضحة والمعجزات الباهـرة ، فاجأوه بالتكذيب والاعراض عنه استكباراً وعناداً ، وقالوا : إن ما جئت به ما هو إلا ترهات وأباطيل ، وسحر واضح لا شك فيه ، ونحو الآية قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهـم في التوراة والإنجيل) الآية •

٦ ـ **سورة المائدة** (ص ٢٧٥ ـ الآية ٢١) :

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم ، على فترة من الرسل، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شيء قدير) .

في هذا المقطع آية مستقلة عن المسيح (١٩) نظنها مزيدة كررت هنا ، وموضعها في (٧٥) .

الجواب :

ان هذه الآية الكريمة (٢١) من سورة المائدة ، تخاطب أهل الكتاب ، وتذكرهم بما جاء في كتبهم ، وأخبرهم به أنبياؤهم ، فقد جاء على لسان موسى (أنه سيقيم نبياً من بني اسماعيل اخوانكم) وعلى لسان عيسى (أنه سيجيء الفارقليط روح الحق الذي يعلمكم كل شيء) هذا الرسول هو محمد بن عبد الله النبي الأمي يبين لكم على فترة من الرسل ، أي على انقطاع منهم ، وطول عهد بالوحي ، جميع ما أنتم في حاجة اليه ، من أمور دينكم ودنياكم ، من عقائد أفسدتها عليكم نزعات الوثنية ، وأخلاق وآداب صحيحة أفسدها عليكم إفراطكم ، في الأمور المادية والروحية ، وعبادات وأحكام تصلح أمور الأفراد والمجتمع .

روى ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي ، في الدلائل عن ابن عباس ، قال : دعا رسول الله (ص) يهود إلى الإسلام ، فرغبهم فيه وحذرهم ، فأبوا عليه ، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يا معشر يهود ، اتقوا الله ، فوالله لتعلمن أنه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حربلة ووهب بن يهوذا : إنا ما قلنا لكم هذا ، وما أنزل من كتاب من بعد موسى ، ولا أرسل الله بشيراً ولا نذيراً بعده : فأنزل الله الآية : (٧٥) « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ،

وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام » الآية ، فهي آية مستقلة في بطلان ألوهية المسيح ووالدته ، فليس المسيح إلا رسولاً من الرسل الذين بعثهم الله ، لهداية عباده ، قد مضت من قبله رسل اختصهم الله مثله بالرسالة وأيدهم بالآيات ، وأمه صديقة ، فلها في الفضل مرتبة ، تلي مرتبة الأنبياء والمرسلين ، ونحو الآية : (وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) ، أما حقيقتهما النوعية والجنسية ، فهي مساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما فهما يأكلان الطعام ليقيما بنيتهما ، فلا يمكن أن يكون كل منهما إلهاً خالقاً ولا رباً معبوداً .

وبعد أن بيّن حالهما بياناً لا يحوم حوله شائبة من الريب ، تعجب من حال كل من يدعي لهما الربوبية ولا يرعوي عن غيه ، فقال : (انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون) أي انظر أيها السامع نظرة عقل وفكر ، كيف نبيّن لهؤلاء الآيات والبراهين البالغة أقصى الغايات في الوضوح على بطلان ما يدعون في أمر المسيح ، ثم هم بعد ذلك يعرضون عنها . فقد علم أن لكل آية وجهة فأين التكرار ؟

٧ ـ **بطلان القول بالوهية المسيح** (٧٥ ـ ٨٠) سورة المائدة (الآية١٩):

« لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ؟ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء، والله على كل شيء قدير » .

الجواب :

النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة ، إذ بعضهم يفسر الأب والابن وروح القدس ، بأنها الوجود والعلم والحياة ،والقول بها لا ينافي توحيد الخالق ، كما أنه يوجد الآن في نصارى أوربة وغيرهم من الموحدين ، الذين يعتقدون أن المسيح نبي ورسول لا إله .

(قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً) أي ان المسيح وأمه من المخلوقات القابلة للفناء والهلاك كسائر أهل الأرض ، فاذا أراد الله أن يهلكهما ويهلك أهـــل الأرض جميعاً لا يستطيع أحد أن يرد إرادته ، لأنه هو مالك الملك ، الذي يصرفه بمقتضى مشيئته وإرادته ، واذا كان المسيح لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولا عن أمـــه الهلاك ، كما لا يستطيع أن يدفعه عن غيره ، فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء ؟

تنبيه مهم :

جاء في كتاب إظهار الحق ما نصه : إن لفظ الجلالة (الله) ولفظ الرب ، ولفظ الإله ، تطلق عندهم على المخلوق ، كما تطلق على الخالق ، ففي الباب السابع من سفر الخروج هكذا : (فقال الرب لموسى انظر فاني قد جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون لك نبياً) ، ثم في الباب الرابع عشر من السفر المذكور هكذا ، ١٩ (فانطلق ملاك الله الذي كان يسير قدام عسكر إسرائيل ، ومشى خلفهم) ثم قال : ٢٤ ، فلما كان عند محرس السحر نظر الرب الى محلة المصريين ، وهذا السائر الناظر (نظر الرب) (الملك بعينه) ، فجاء اطلاق لفظ الرب الإله في ثلاثة مواضع على الملك المذكور ، ثم في الآية (٦) من الزبور الباب (٨) : (أنا قلت انكم آلهة وبنو العلي كلكم) فجاء ههنا اطلاق الآلهة وأبناء الله على العوام فضلا عن الخواص ، أو ملخصا ، وقد أورد لاطلاق هذه الألفاظ على غير الخالق أمثلة كثيرة فهـــل يستكثر على ابن البشر المصطفى المكرم ، وهو عيسى عليه السلام ، أن يطلق عليه مثل هذا ، وهل يخرجه هذا عن أن يبقى ابن الانسان عيسى بن مريم ؟

٨ ــ سورة المائدة (ص ٢٨٣ ــ الآية ٧١ ــ ٧٥) :

براءة المسيح من دعوى الألوهية

الآية ٧١ : (لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار) .

الجواب عن هذه الشائعة :

أي ان هؤلاء الذين ادعوا أن الله هو المسيح بن مريم ــ قد كفروا وضلّوا ضلالاً بعيدا ، إذ هم في إطرائه ومدحه ، غلوا أشد من غلو اليهود في الكفر به وتحقيره ، وقولهم عليه وعلى أمه الصديقة بهتاناً عظيماً . وقد صارت هذه المقالة هي الشائعة عندهم ، ومن عدل عنها عدّ مارقاً من الدين . فقالوا إن الاله مركب من ثلاثة أصول يسمونها (الأقانيم الثلاثة) وهي الأب والابن وروح القدس ، فالمسيح هو الابن والله هو الأب ، وقد حل الآب في الابن واتحد به فكون روح القدس ، وكل واحد من هذه الثلاثة عين الآخرين .

وخلاصة ذلك ، الله هو المسيح والمسيح هو الله ، كما يزعمون .

(وقال المسيح : يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي والحال أن المسيح قال لهم ضدّ مايقولون ، فقد أمرهم بعبادة الله وحده ، معترفاً بأنه ربه وربهم ، ودعا بني إسرائيل الذين أرسل إليهم إلى عبادة الله وحده . ولا يزال هذا الأمر محفوظاً في الأناجيل التي كتبت لبيان بعض سيرته وتاريخه ، ففي انجيل يوحنا : (وهذه هي الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) فدين المسيح مبني على التوحيد الخالص ، وهو دين الله الذي أرسل به جميع رسله .

الآية : (٧٥) الى أن قال : (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) أي ليس المسيح إلا رسولا من الرسل الذين بعثهم الله لهداية عباده ، قد مضت من قبله رسل اختصهم الله بالرسالة ، وأيدهم بالآيات ، وأمه صديقة ، فلها في الفضل مرتبة تلي مرتبة الأنبياء والمرسلين ، ونحو الآية قوله : (وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين) هذا وان المجازات والمبالغات في هذه الكتب كثيرة ، ولا يمكن أن تحمل على الحقيقة ، لأنها لاتصدق أبداً وانظر أمثلتها (ص ٢٧٢ و ٢٧٣) من (إظهار الحق) .

٩ ــ سورة براءة ــ (التوبة) (ص ٣٠٥ ، الآية ٣٤) :

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون) وعندنا أن الآية مزيدة هنا ، لأنها تخص (المشركين) وتقطع سياق الحديث عن الكتابيين (٣٣ ــ ٣٥) .

الجواب : الآية : (٣٠ ــ ٣٣) :

(وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنّى يؤفكون ، (٣٠) اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون ، (٣١) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، (٣٢) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، (٣٣) .

عزير : كاهن يهودي ، وكاتب شهير ، سكن بابل حوالي سنة (٤٥٧ ق.م) أسس المجمع الكبير ، وجمع أسفار الكتاب المقدس ، وأدخل الاحرف الكلدانية ، عوضاً عن العبرانية القديمة

وألّف أسفار الأيام ، وعزرا ونحميا . وعلى الجملة ، فعصره هو ربيع الدين اليهودي ، وهو جدير أن يكون ، ناشر الشريعة اليهودية ، فقد أحياها بعد أن نسيت ، ومن أجل هذا فاليهود يقدسونه ، حتى ان بعض يهود المدينة أطلق عليه لقب (ابن الله) .

والمشهور عند المؤرخين حتى مؤرخي أهل الكتاب ، أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ، ووضعها في تابوت العهد أو بجانبه ، قد فقدت قبل عهد سليمان عليه السلام ، فانه لمّا فتح التابوت في عهده لم يوجد فيه غير اللوحين اللذين كتب فيهما الوصايا العشر ، كما جاء في سفر الملوك الأول ، وأن عزيرا هو الذي كتب التوراة وغيرها بعد السبي بالحروف الكلدانية ، ممزوجة ببقايا اللغة العبرانية ، التي نسي اليهود معظمها ويقول أهل الكتاب أن عزيرا كتبها كما كانت ، بوحي أو بإلهام من الله .

وخلاصة ما سلف ــ أن جميع أهل الكتاب يدينون لعزير في مستند دينهم ، وأصل كتبهم المقدسة عندهم ، وان كان هذا المستند ضعيفاً ، فقد جاء في ترجمة عزرا من دائرة المعارف البريطانية أنه لم يعد إليهم الشريعة التي أحرقت فحسب ، بل أعاد جميع الأسفار العبرية التي كانت أتلفت ، وأعاد سبعين سفراً ، غير قانونية (أبو كريف) ثم قال كاتب الترجمة : وإذا كانت هذه الأسطورة الخاصة بعزرا هذا قد كتبها من كتبها من المؤرخين بأقلامهم من تلقاء أنفسهم ، ولم يستندوا في شيء منها الى كتاب آخر ، فكتاب هذا العصر يرون أن أسطورة عزرا قد اختلقها أولئك الرواة اختلاقاً .

(وقالت النصارى : المسيح ابن الله) وهذا قول القدماء منهم كان يراد به أنه المحبوب أو المكرم ثم سرت اليهم وثنية الهنود ، فاتفقت كلمتهم على أنه ابن الله حقيقة وعلى أن ابن الله بمعنى (الله) وبمعنى

(روح القدس) إذ هذه الثلاثةعندهم واحد حقيقة ، وهذا تعليمالكنائس الذي قررته المجامع الرسمية بعد المسيح وتلاميذه ، بثلاثة قرون ، وقد خالف في ذلك خلق كثير منهم يسمون الموحدين أو العقليين ، ولكن الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستنتية لا تعتقد بنصرانيتهم ولا بدينهم .

وكلمة (ثالوث) تطلق عندهـم على وجود أقانيم ثلاثة معاً في اللاهوت تعرف بالآب والابن والروح القدس ، وهذا هو تعليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية والبروتستانتية ، وهو المطابق لنصوص الكتاب المقـدس .

(ذلك قولهم بأفواههم) أي هذا الذي قالوه في عزير والمسيـح ، قول تلوكه الألسنة في الأفواه ، لا يؤيده برهان ، ولا يتجاوز حركة اللسان ، بل البرهان دال على عكسه ، لاستحالة إثبات الولد لمن هو بريء عن الحاجة واتخاذ الصاحبة .

(يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) أي يشابهون فيها قول الذين كفروا من قبلهم وهم مشركو العرب الذين قالوا مثل هذا القول . إذ قالوا : الملائكة بنات الله .

وقد علم من تاريخ قدماء الوثنيين في الشرق والغرب أن عقيدة الابن لله ، والحلول والتثليث كانت معروفة عند البراهمة والبوذيين في الهند ، والصين ، واليابان ، وقدماءالفرس ، والمصريين ، واليونان ، والرومانيين، فبيان القرآن الكريم لهذه الحقيقة التي لم يكن أحد من العرب ولا ممن حولهم يعرفها ــ بل لم تظهر إلا في هذا الزمان ــ من معجزاته الكثيرة التي تظهر على مر الزمان ، وتصدقها المشاهدة والعيان .

وكيف يصرفون عن توحيد الله وتنزيهه ، وبه تجزم العقول ، وبلّغه عن الله كل رسول الى قولٍ لا يقبلـه عقل ، فمـا المسيح وعزير إلا

مخلوقان من مخلوقات الله ، الذي خلق هذا الكون العظيم ودبر أمره ، ولا ينبغي لواحد من هذه المخلوقات ، أن يجعل لخالقه ومدبر شئونه ولداً من جنسه ، مع علمه بأنه كان يأكل ويشرب ويتعب ويتألم (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون) (واليهود) لم يقتصروا في دينهم على أحكام التوراة ، بل أضافوا إليها من الشرائع ماسمعوه من رؤسائهم من قبل أن يدونوه في الكشنه والتلمود ، ثم دونوه ، فكان هو الشرع العام ، وعليه العمل عندهم . (والنصارى) غيَّر رؤساؤهم جميع أحكام التوراة الدينية والدنيوية ، واستبدلوا بها شرائع أخرى في العبادات والمعاملات جميعاً ، وزادوا حق مغفرة الذنوب لمن شاءوا ، وحرمان من شاءوا من رحمة الله وملكوته ، والله يقول : (ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟) وزادوا القول بعصمة البابا في تفسير الكتب الإلهية ، ووجوب طاعته في كل ما يأمر به من الطاعات وينهى عنه من المحرمات .

وأمرُه تعالى بعبادته وحده على لسان موسى عليه السلام جاء في مواضع من التوراة منها أول الوصايا العشر التي جاءت في سفر الخروج (أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صوراً مما في السماء من فوق ، ولا مما في الأرض من تحت ، ولا مما في الماء تحت الأرض ، لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور) الخ .

وأمرُه تعالى بعبادته على لسان عيسى كثير أيضاً ، من ذلك ما رواه يوحنا في إنجيله (وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) .

(ويأبى الله إلا أن يتم نوره) ببعثة محمد خاتم النبيين ، الذي أرسله الى الخلق أجمعين ، وجعل آيته الكبرى ــ وهي في القرآن ــ

علمية عقلية، وكفل حفظها إلى آخر الزمان ، وبيّن لهم فيه مايحتاجون إليه من عقائد يؤيدها البرهان ، وتبطل بها عبادة الإنسان للإنسان ، فضلاً عن الأصنام والأوثان ، وعبادات تتزكى بها النفس ، وتطهر من كل رجس ، وتجعل كفاية الأغنياء للفقراء حقوقاً إلهية ، ويبطل ثوابها المنّ والأذى ، وآداب تطبع في الأنفس الفضائل ، وتشريع يجمع بين الرحمة والعدل والمساواة بين جميع الناس في الحق .

وخلاصة ما سلف أنهم يريدون أن يطفئوا نور الله الذي شرعه لهداية عباده ، وركنه الركين ، وأساسه المتين توحيد الربوبية والألوهية، فتحولوا عنه الى الشرك والوثنية ، ويأبى الله إلا أن يتم هذا النور الذي هو كنور القمر فيجعله بدراً كاملاً يعم نوره الأرض كلها .

ثم بيّن إتمام نور الله فقال :

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي إنه تعالى كفل إتمام هذا النور بارساله رسوله الأكمل بالهدى ودين الحق ، الذي لا يغيره دين آخر ولا يبطله شيء آخر .

ثم ذكر الغاية من إرسال محمد خاتم النبيين بدين الحق فقال :

(ليظهره على الدين كله) ، أي ليعلي هذا الدين ويرفع شأنه على جميع الأديان ، بالحجة والبرهان ، والهداية والعرفان ، والسيادة والسلطان ، ولم يكن لدين من الأديان مثل ما للإسلام من التأثير الروحي والعقلي والمادي ، والاجتماعي والسياسي .

روى أحمد عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : دخلت على رسول الله (ص) فقال يا عدي : أتعرف الحيرة ؟ قلت : لم أرها ولكن سمعت بها، قال :فوالذي نفسي بيده ليتمنّ الله هذا الدين حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولتفتحن

كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز ؟ قال : نعم كسرى بن هرمز ، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد) (قال عدي : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة ، فتطوف في البيت من غير جوار أحد ، وقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ، لأن رسول الله (ص) قالها) ، وقد كانت الثالثة في زمن الملك الصالح والخليفة العادل ، عمر بن عبد العزيز ، فقد عرض المال فلم يقبله أحد .

ثم بعد أن ذكر في الآيات السالفة اتخاذ الأحبار والرهبان ، أرباباً من دون الله يحلّون ويحرّمون ويقبل أتباعهم منهم ما أحلوا وحرموا ، قفّى على ذلك بذكر سيرة جمهرة هؤلاء الرؤساء الدينيين في معاملاتهم مع الناس ، لتعرف أحوالهم .

ثم أوعد الباخلين منهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل البر والخير ـ بالعذاب الأليم في نار جهنم .

واليهود قد كفروا بالمسيح ، وهو المصلح الأكبر في شريعتهم ، والنصارى يعبدون المسيح وأمه عليهما السلام ولا يخفى ما لذلك من سوء الأثر في الدين والأخلاق والاجتماع .

وبعد فهذه مسائل تسع قد أجبنا عنها ، ومعظم هذه الأجوبة ملخص من تفسير المراغي رحمه الله تعالى ، وهي تنفي الدس عن القرآن ، وتبيّن أن اتصالات الآيات بعضها ببعض في سورها ، بغاية الإحكام ، ثم إن الآيات كانت تتنزل على أسبابها ، ويأمر النبي (ص) بوضعها في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها ، والآية التي لها سبب معين ، إن كانت أمراً أو نهياً ، فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته ، وان كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته ، وكثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة ، وطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر الى العبارة الواقعة ، فان عبر أحدهم بقوله : نزلت

في كذا والآخر نزلت في كذا أو ذكر أمراً آخر ، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير ، لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قولهما ، اذا كان اللفظ يتناولهما .

قال في إظهار الحق (ج ٢٨١/١) :

من الغريب أن يحيى عليه السلام ، كان شاكاً في المسيح عليه السلام، بأنه المسيح الموعود به أم لا ؟ كما صرح به الباب الحادي عشر من إنجيل متّى : أنه أرسل اثنين من تلاميذه يقولان له : إذ الشك في الإله كفر ، وكيف يتصور أنه لا يعرف إلهه وهو نبيه ؟ بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح كما هي مصرحة في هذا الباب ، فاذا لم يعرف الأفضل مع كونه معاصراً ، فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على عيسى أحق بالاعتبار . وعلماء اليهود من لدن موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بها ، وظاهر أن ذات الله وصفاته الكمالية قديمة غير متغيرة ، موجودة أزلاً وأبداً ، فلو كان التثليث حقاً لكان الواجب على موسى عليه السلام وأنبياء بني اسرائيل ، أن يبينوه حق التبيين ، فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية ــ التي كانت واجبة الإطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسى عليهم السلام ــ خالية عن بيان هذه العقيدة ، التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث ولا يمكن نجاة أحد بدونها نبياً كان أو غير نبي . اهـ .

قلت ان بعض القسيسين ــ لا سيما البروتستنت ــ قد رجع عن عقيدة التثليث ، واعترف بوحدانية الله تعالى وقال ان هذا الاعتراف لا يضر في النصرانية ، وقد نقلت هذا عن قسيس دانيمركي قبل صفحات، وكان مقيماً بدمشق ، وقال لي قسيس آخر : لا تصدق قول الدانيمركي بأن السيد المسيح ليس بإله ؟ قلت : الحكم العدل في هذا ، هو يسوع

المسيح نفسه ، فقد شهد لله بالوحدانية وشهد لنفسه بالرسالة ، فقال : وان الحياة الأبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته)(1) وقد تقدم هذا ، فهل بعد وصفه لربه بالوحدانية ، ولنفسه بالرسالة من شيء ؟

على أن المؤمن بالله تعالى وكتبه ورسله ، اذا أراد أن يعرف الشيء العظيم ، الذي اشتمل عليه القرآن الكريم ، من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وإسناد أفضل الأخلاق وأكمل الأعمال لأنبيائه ورسله ، ثم الترغيب بما يجب أن يتصف به المؤمنون من الأوصاف الكاملة ، والتحذير من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، وبيان كل ما يضمن للإنسان السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، إذا أراد المنصف المخلص أن يتفهم مزايا هذا الذكر الحكيم وخصائصه التي انفرد بها ، فليرجع الى المطالب السبعة والعشرين التي خص بها القرآن ، وعدّها مؤلف (إظهار الحق) واحدة واحدة (ج ٢/٢٣) وقال في طليعتها : ولا تجد آية طويلة فيها تكون خالية عن ذكر أمر من هذه الأمور ، وقال في آخرها : ولا شك أن هذه الأمور محمودة عقلاً ونقلاً ، وجاء ذكر هذه الأمور في القرآن مراراً للتأكيد والتقرير .

واذا أراد أن يقف على نقائض هذه المحاسن ، فليقرأ بعدها (في إظهار الحق) النقائص المنسوبة زوراً وبهتاناً إلى أنبياء الله ورسوله منقولة عن التوراة معزوة إليها واحدة واحدة ، وقال : وهذا القدر مسلم بين اليهود والنصارى ، ومصرح به في كتب العهد العتيق المسلّمة عند الفريقين قلت والمطالع لها يرى أنها :

تصم السميع وتعمي البصير ويسأل من مثلها العافية

---

(1) تنبيه : ما أراه منقولا عن أحد الأناجيل الاربعة ، ارجع فيه الى الطبعة الكاثوليكية في بيروت كما تقدم .

ويقول المؤلف بعد ذكرها : أعاذنا الله من أمثال هذه الاعتقادات السوء في حق الأنبياء عليهم السلام ولا يؤاخذني على ما نقلت من هذه المزخرفات على سبيل الالزام ، ويقسم فيقول : والله ثم بالله ، لا أعتقد في حق الأنبياء هذه الكذبات وهم بريئون منها •

ثم نقل شيئاً عن العهد الجديد ، وختم هذا البحث بذكر البابوية ، وما ينسب إليها من أحوال وأعمال ، مما لا تكاد تصدق بحال ، ومن أقوى الأسباب في ذلك كله ، هو مخالفة سنة الطبيعة والشريعة في الامتناع عن الزواج (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ــ الروم ٢١ ــ وهذه المودة القلبية والصلة الروحية ، هي أمتن صلة بين الانسان والانسان ، وفيها إفضاء الأسرار من كل منهما للآخر ، وبناء الحياة الداخلية على أسس كريمة ، ودعائم قوية ، هذه هي الحياة الزوجية الصالحة ، التي يتولد منها التناسل ، ويتكون منها العمران ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) •

التوحيد التام ، في المسيحية والاسلام

قال الأستاذ الحدّاد في كتابه « الإنجيل في القرآن » ما نصّه : يستشهد القرآن على عدم بنوّة عيسى وإلهيته من قول المسيح نفسه عن الله إنه « ربي وربكم » يوحنا (٢٠ : ١٧) وذلك ما كا نيردده الآريسيون والنساطرة ضد ألوهية المسيح (ص ٢٠١ منه) ينكر القرآن أشد الإنكار تعدد الآلهة بناء على شهادة الأنبياء المتعاقبين « وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (الزخرف ٤٥) وقال الأستاذ الحداد : وفيإهمال القرآن لعقائدالنصرانية الخاصة ، أو في نكرانها : ألا ينسجم مع موقف فِرَق نصرانية عاصرته

كالآريوسية والنسطورية ، أو تعاصرناكأحرارالبروتستنطية وشهوديهوه؟
أقول : بلى إنه ينسجم معها كل الانسجام « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، فسبحان الله عما يصفون » (المؤمنون ٩١) .

ولقد نفى الأستاذ الحداد في كتابه بنوّة السيد المسيح التناسلية ، والبنوة المعنوية أيضا ، فقال : ولكن بنوّة عيسى في الإنجيل ليست تناسلية وليست معنوية ، بل هي بنوة روحية محضة من ولادة عقلية محضة (ا هـ ٣٥٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح بعنوان : ابن الله ومعناه : وقد علمتم أن من يُسمَّى بابن الله كثير لا يحصون ، فمن ذلك إقراركم أنكم جميعاً أبناء الله بالمحبة ، وقول المسيح أبي وأبوكم وإلهي وإلهكم ، في غير موضع من الإنجيل ، ثم تسمية (الله) يعقوبَ وغيره (بنيه) خصوصاً ، فالسبيل في المسيح إذا لم تلحقوه في هذا الاسم بالجمهور — أن يجري في هذه التسمية مجرى الجماعة التي اختصوا بها من الأنبياء والأبرار ، ونسبة الملك إياه إلى أبيه داود ، وإن التسمية الأولى (أي ابن الله) على جهة الاصطفاء والمحبة ، وإن حلول الروح عليه ، على الجهة التي قالها متّى التلميذ للشعب عن المسيح في الإنجيل : لستم أنتم متكلمين ، بل روح الله تأتيكم تتكلم فيكم فأخبر أن الروح تحل في القوم أجمعين ، وتتكلم فيهم ا هـ .

وقال بعض فضلاء المسلمين في الرد على خطبة العيد البروتستنطية : إن المسيح عليه السلام لم يدّع الألوهية لنفسه ، ولا كلّف أتباعه باعتقادها له ، وكان يصرح بأنه إنسان وابن إنسان ، أي مريم عليها السلام ، أرسله الله رسولاً إلى بني اسرائيل ، لا يقدر على شيء من نفسه ، وإن الإله الحقيقي الواجب الوجود ، الذي يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء هو الله وحده ، قال عليه السلام : (وهذه هي الحياة

الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته) (يوحنا الاصحاح ١٧ العدد ٢) فلم يقل الحياة الأبدية لمن يعرف أني إنسان تام وإله تام ، بل قال الحياة الأبدية لمن يعرف أن الله هو الإله الحقيقي وحده ، وأن يسوع هو المسيح الذي أرسله ، وهذا ما نعتقده ونعرفه نحن (المسلمين) : انه لا إله إلا الله ، وأن عيسى المسيح رسول الله ، فلنا الحياة الأبدية بموجب هذا النص الصريح ، من السيد المسيح ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين» •

وختام القول : إن هذه النصوص الصحيحة الصريحة بوحدانية الله تعالى ، وبرسالة السيد المسيح ، قد ألفت بين الأديان الثلاثة ، وهذا هو الإخاء الصحيح ، بين محمد وموسى والمسيح ، عليهم الصلاة والسلام ، ولو اقتصر رجال الكنيسة الأكارم على ما بين أيديهم من الكتب المقدسة ، دون عقائد وعوائد ليست في هذه الأناجيل التي هي أصل العقيدة ومستندها ، لاجتمعت الكلمة ، وأحكمت عرى المودة القلبية ، بين أهل العقائد السماوية ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم •

دمشق الشام : محمد بهجة البيطار

١٣٨٧ - ١٩٦٧

سؤال وجواب :

سألني بعض الاخوان الكرام عن أسماء مؤلفاتي المطبوعة ، فأجبتهم بأنها خمسة عشر مؤلفاً مبيّنة في آخر (الرحلة النجدية الحجازية) التي طبعت في هذا العام بدمشق (١٣٨٧ هـ ـــ ١٩٦٧ م) ، فتكون هي وهذا الكتاب سبعة عشر مؤلفاً ، عدا المنشورات في الصحف والمجلات ، والله تعالى هو الموفق والمعين ، والحمد لله رب العالمين •